الفلسطينيون في الداخل

صالح برانسي: من مواليد العام ١٩٢٩، ومن قرية الطيبة في المثلث. اتممت دراستي الابتدائية في قرية الطيبة، ثم درست سنة واحدة في مدرسة طولكرم الثانوية، انتقلت بعدها الى كلية النهضة في القدس، وتخرجت منها في العام ١٩٤٨. مباشرة، تطوعت بعد تخرجي في جيش الانقاذ، وبعدها في الجيش العراقي؛ ولكن بعد فترة قصيرة تبين لي ان الجيوش العربية قد وفدت الى فلسطين لتطبيق قرار التقسيم، لا لتحاربه، فاستقلت من الجيش العراقي.

في العام ١٩٤٩، ضمت منطقة المثلث الى القطاع المحتل، في اعقاب اتفاقية رودس التي عقدت بين اسرائيل والدول العربية، وبشكل خاص اثر الاتفاقية مع الملك عبدالله. في العام ١٩٥٠، عينت مدرساً للمرحلة الثانوية. وبعد سنتين عينت مدرساً للغة العربية في مدرسة الطيبة الثانوية. وفي ١٩٥٧، شاركت في اقامة الجبهة الشعبية. وفي ١٩٥٩، شاركت في تأسيس «حركة الارض». وفي ١٩٦١، فصلت من عملي بسبب نشاطي السياسي، ووضعت، منذ ذلك الحين وحتى العام ١٩٦٩، تحت الاقامة الجبرية، والاعتقال البيتي؛ ثم قامت السلطات باعتقالي في السنة عينها، وقدمت الى المحكمة العسكرية، بتهمة اقامة «تنظيم تخريبي» في المناطق المحتلة، وحكم علي بالسجن لمدة عشر سنوات، امضيتها، بكاملها، في السجن، وخرجت من السجن في آذار (مارس) ١٩٧٩.

لقد اتيحت لي الفرصة، للمرة الاولى، للقيام بجولة خارج البلاد، اثر دعوة تلقيتها للمشاركة في مؤتمر الخريجيين العرب في اميركا. وهناك رتبت لي جولة اعلامية حول القضية الفلسطينية. وفي العام ١٩٨٠، عدت الى البلاد، وقد صادفت عودتي محاولة اغتيال رؤساء بلديات الضفة الغربية، وكانت في البلاد حملة واسعة تدعو الى الاضراب العام لمدة ثلاثة ايام، احتجاجاً على الحادث. اثر ذلك، وضعت تحت الاقامة الجبرية مرة اخرى، وبقي الامر سارياً حتى ايلول (سبتمبر) ١٩٨٣. في تلك الفترة، كنا بدأنا بتأسيس مركز لاحياء التراث الفلسطيني؛ فما ان انتهى مفعول الاقامة الجبرية حتى غادرت البلاد مرة ثانية، وذلك لتلقي العلاج الطبي، من جهة، وللحصول على دعم مادي ومعنوي لمركز احياء التراث في الطيبة، من جهة اخرى.

اوضاع العرب بعد النكبة

في اعقاب حرب العام ١٩٤٨، لم يبق في البلاد سوى ٨٠ الف نسمة تقريباً، غالبيتهم من القرويين البسطاء، الذين وجدوا انفسهم يعيشون في ظروف استثنائية ومذهلة. يعيشون في حالة صدمة موجعة لتخلي اخوانهم العرب عنهم. فبين ليلة وضحاها، تحول الفلسطينيون من شعب حر، ومن اكثرية تعيش فوق ارضها، الى اقلية مضطهدة تعيش تحت حكم عسكري فاشي. هذه الاقلية وجدت نفسها كالقطيع بلا راع، وذلك اثر طرد وتهجير معظم، أو كل، القيادات السياسية والفعاليات الاقتصادية والثقافية. ولكن المجتمع الفلاحي، بطبيعته وبفطريته، معروف بالصلابة، حتى لو اتسمت بالسلبية في بعض الاحيان. فقد عبر هذا المجتمع عن رفضه للواقع من خلال التمسك المبالغ به بتقاليده وعاداته ولغته، ومحاولة النهوض، اقتصادياً، من جديد؛ فكان هذا هو الشكل الهادىء للرفض وللنضال السلبي. لقد كان مثمراً في حينه، وفي ظل الظروف التي كانت سائدة. لاول مرة، شعر الفلسطينيون في الداخل بأنهم مسؤولون، ولوحدهم، عن مواجهة هذا العدو الشرس، وبامكانات ضئيلة ومحدودة، ومسؤولون عن اتخاذ قرارات مصيرية خاصة بهم، وبوجودهم الفعلي، والمعنوي.